وكنيسة القيامة هي برج بابل ، القائم الدائم . فالرهبان فيها من كل اقطار العالم ، ويصلون بكل لغات العالم ، وكثير منهم لا يعرف بعضهم بعضا ، ولكن جمهور المصلين هم من عرب بيت المقدس ، ومعظمهم من أتباع الطائفة الاورثوذكسية .

وبقدر ما كانت كنيسة القيامة توحي الوقار والاجلال كانت صفوف الفتيان والفتيات في غاية الروعة والجمال ، بملابسهم الزاهية ووجوههم الوادعة ، يحملون الشموع بأيديهم ؛ وبهجة العمر عندهم عيدهم في كنيسة القيامة .

واشتد الزحام فلم نعد نرى معالم الكنيسة ، وخرجنا ؛ والترجمان يفسح لنا الطريق برفق وروية ، ولولاه لما عرفنا طريقنا الى الخروج .

وقلت للترجمان : وهل الجمهور الذي شاهدناه اليوم من كل الطوائف .

قال : الا الطائفة البروتستانتية . ومعظم الناس من الارثوذكس ثم يأتي بعدهم المسلمون !!

قلت : المسلمون ؟؟

قال : نعم . الشباب المسيحيون يدعون اصدقاءهم من الشباب المسلمين لهذه الاعياد ، ويشتركون معا في الاعياد والمواسم . وخاصة في عيد الفصح .

قلت له : واليهود . وما حالكم معهم ؟

قال : والله اقول لك الحقيقة . نحن هنا في بيت المقدس كنا مع اليهود بألف خير ، في زمن الاتراك . كنا نتزاور ونتعامل مع بعضنا بعضا . وكثير من اولاد المسلمين كانوا يرضعون من السيدات اليهوديات ، والعلاقات بيننا على ما يرام . ولكن منذ ان جاء الانجليز اختلف الحال . واليهود أنفسهم بدأوا يتنمرون ، وخصوصا المهاجرين الجدد .

وانتهت زيارتنا مع الترجمان ذلك اليوم ، فكانت درسا تاريخيا ودينيا وسياسيا ، وودعناه ، بعد أن مد كل واحد منا يده الى جيبه واعطاه ما تيسر . وهو بدوره مد يده الى جيبه ليعطينا بطاقته ويقول : هذا اسمي وعنواني ، اعطوه لاخوانكم .

ومن كنيسة القيامة سلكنا طريقنا الى باب الخليل ، ومنه الى طلعة صهيون ، الى مدرستنا حيث اقضي فيها ثلاث سنوات ، اصبحت فيها بيت المقدس بعض حياتي .

ثم تشاء الاقدار بعد ذلك ان يصبح بيت المقدس كل حياتي ، فقد عملت فيها صحافيا ومحاميا ، وانتهى بي المطاف حين جندت نفسي في ميدان النضال الوطني، على الصعيدين العربي والدولي . الى ان سقط بيت المقدس جريحا بيد اسرائيل ، وسقط معه التاريخ .